



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 14-11-96
Photo No. : 115

التطبيع سلاح عربي

كثيرون في العالم العربي لم يفهموا شيئاً امس عندما طالعوا روايات الصحف عن مؤتمر القاهرة الاقتصادي. ماذا؟ لم يأكلنا الاسرائيليون؟ جلسنا معهم وصافحناهم ولم نفقد هويتنا وازدانتنا؟ تركنا العلم الاسرائيلي يرتفع في عواصمنا ولم نقض على انفسنا؟ اجرينا تطبيعاً للعلاقات معهم ولم نسقط ضحاياه بل جعلناه سلاماً في يدنا؟ كفى! لم نعد نفهم. اما قلتم لنا ان التطبيع خيانة لا عودة عنها وانه يؤدي الى الهاوية؟

المسألة صعبة فعلاً ولم نتمياً بما فيه الكفاية، خصوصاً في بيروت، للنفاذ الى ما وراء التناقض الظاهر وصولاً الى ادراك الاشكال الجديدة التي صار يرتديها الصراع العربي - الاسرائيلي في عصر التسوية المنقوصة. فمنذ بدأت تلك المسيرة في مؤتمر مدريد (بموافقة كل الاطراف العرب المعنيين)، لم يبرح الخطاب المهيمن المواقع التي طالما اعتادها. فظل يفترض ان الترسنة الايديولوجية التي كنا نقاتل بها ليست على صورة الترسنة الدرية، معتبراً ان الاولى تبقى صالحة حتى اذا تحولت الثانية قطع حديد لا فائدة منها. هكذا، هجمنا، مدججين بأسلحة الصمود والتصدي، على عدو سميناه "التطبيع" فقطعناه ارباً لرباً. او هكذا اعتقدنا حتى الامس عندما اكتشفنا ان "العدو" قد يستحيل صديقاً في وجه العدو الحقيقي الذي لا يتزحزح، حتى اذا اضطرنا الى مصافحته، اي اسرائيل.

كلام عام لا طائل تحته؟ فلندخل اذناً في التفاصيل. اي دولة عربية تبدو اليوم الأكثر صرامة في الدفاع عن الحق الفلسطيني؟ انها قطعاً مصر، الدولة التي تعيش في حال سلام رسمي مع اسرائيل منذ تسعة عشر عاماً (هذا مع التأكيد على ان سياستها الراهنة لا تجرر مع المفعول الرجعي خيار الصلح المنفرد). اي دولة عربية تستطيع اليوم تبديد الاوهام الاسرائيلية في امكان بناء موقع اقتصادي مهيمن في المنطقة من دون دفع ادنى ثمن سياسي؟ انها قطعاً السعودية، الدولة التي تشكل الفريسة الاقتصادية المثلى بالنسبة الى الاطماع الاسرائيلية. واي دولة تؤكد اليوم ان التطبيع سلاح ذو حدين؟ انها قطر، الدولة التي كانت "هرولتها" رمزاً للاختراق الاسرائيلي. وقس على ذلك في ما يتعلق بالمغرب وتونس وحتى الاردن.

بالتأكيد، لم ينقلب السحر على الساحر من دون سبب ولا يرجع الفضل في هذا التحول الى مسؤولي هذه الدول. فهناك الانقلاب الذي حصل في اسرائيل مع زهاب بائع "الاحلام" شمعون بيريس ومجنّ صانع الكوابيس بنيامين نتنياهو. ولكن هناك فوق ذلك قدرة جديدة عند العرب والفلسطينيين تحديداً في الامساك بزمام المبادرة السلمية في نظر العالم. فكيف لو كان اللبنانيون والسوريون ممسكين بزمام تلك المبادرة هم ايضاً؟

يبدو ان اهم درس يستخلص من مؤتمر القاهرة هو ان التاريخ لا يتوقف وان الصراع قابل، للاستمرار باشكال اخرى. فبخلاف ما اعتقنا لسنوات، لا يؤدي التطبيع بالضرورة الى تجميد التناقضات بين الدول، كما يساعد احياناً في كشفها.

سمير قصير